[18] ذلك قبلك. فقال شيخ من الازد، كان ضخم الهامة، وكانت له ضفيرتان، فعصب لذلك بالسير قال ابن عباس: فذكرت ذلك لعمرو بن هرم، وكان معنا بواسط. فقال: حدثك من لا يعرف هذا شئ كانت العرب تصنعه إذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب، عصب السير ليعلموا أنه معتذر. قال: فأقبل مسعود حتى انتهى إلى باب المسجد، ومعه أصحابه رجالة، بيت يديه وخلفه وكان كبيرا فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد بأجمعها، فدخل المسجد بدابته، فبصرت به الخوارج، فظنوا أنه عبيد ا، فأقبلوا نحوه متقلدين السيوف، وجال الناس جولة، فضربوه بأسيافهم حتى مات. قتله نفر من بني حنيفة من الخوارج، وجال الناس ونهضوا من مجالسهم، وبلغ ذلك الازد، فأقبلوا على كل صعب وذلول، وأقبل عباد بن الحصين لينظر إلى عبيد ا فإذا هو بمسعود. فقال: مسعود ورب الكعبة، إنا وإنا إليه راجعون، أبا قيس قد وفيت، ما كان أغنى أهل مصرك بما صنعت من ذلك، فجعتهم بنفسك. ثم ألقي عليه كساءه، ثم أقبلت الازد، فكان بينهما وبين مضر ما وقع ذكره في غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا، وتراضوا على بيعة ابن الزبير. قال الهيثم: قال ابن عباس: حدثنى عوكل اليشكرى قال: إنا مع عبيد ا بن زياد في ليلة مظلمة، فإذا نحن بنار من بعد. فقال عبيد ا: يا عوكل كيف الطريق ؟ قال: اجعل النار على حاجبك، فقال: بل على حاجبك. قال عوكل: فوا إنا لنسير بالسمارة، إذ قال عبيد ا: قد كرهت البعير، فابغوا لي ذا حاقر. قال: فإذا نحن بأعرابي من كلب معه حمار أقمر ضخم. فقلت: تبيعه بكم ؟ فقال: بأربع مئة درهم، لا أنقصكم درهما، فأشار إلينا عبيد ا أن خذوه. قال: فجعلنا ننقده الدراهم. قال: لست أدرى ما هذه ؟ ولكن بيني وبينكم هذا المولى، يعنى عبيد ا بن زياد، وكان عبيد ا أحمر أقمر، شبيها بالموالى. قال: فأخذناه منه فقال عبد ا: إرحلوا لي عليه، فرحلنا له عليه، فلما قدم ليركب، قال الاعرابي: أنا أقسم با إن لكم لشأنا، وما أظن صاحبكم إلا والى العراق، فاستقفاه عبيد ا بالعصا، فضربه بها، فوقع، ثم شدوه وثاقا. قال: وجعلوا يتجنبون المياه. قال عوكل: ثم إن عبيد ا بيننا هو على راحلته، إذ هجعت عينه. فقلت له: أراك نائما. فقال: ما كنت بنائم. فقلت له: ما أعلمني بما كنت تحدث به نفسك قال: وبأي شئ كنت أحدث نفسي ؟ قال: قلت: ليتني لم أبن البيضاء (1)، ولم أستعمل الدهاقين (2)، وليتني لم أتخذ المحاربة، قال: ما خطر لي هذا على بال، أما قولك: ليتني لم أبن البيضاء، فما كان على منها إثم، بناها اليزيد من ماله، وأما استعمال

---

(1) البيضاء: البيضاء دار بالبصرة لعبيد ا بن زياد. (2) الدهاقين جمع دهقان وهو رئيس التجار. (*)